

أو بالأحرى "إسلام" لميشيل هولبيك الصادرة سنة ٢٠١٥، يتحدث صاحبها في فصل استشرافي من فصولها، كيف ستصوّت فرنسا الديمقراطية مكرهة في صراعها مع "الجبهة الوطنية" اليمينية إلى محمد عباس، مرشح الإخوان المسلمين سنة ٢٠٢٢. ذلك مصير فرنسا السياسي بمنظور استشرافي، فرنسا بلغت أوج أزمته التي سبق أن نبّه منها رينيه غينو في كتابه "أزمة العالم الحديث"، أو بالأحرى عبدالواحد يحيى بعد إسلامه، بأسلوب رمزي باطني، لا زال يشدّ من يغويهم التفسير الباطني والرمزي لأحداث العالم. فالشرق يبقى عميقا كما سير غوره هنري كوربان، صاحب الخيال الخلاق، وما الغرب سوى منفي للميتافيزيقيا. ف"المفتاح الهرمنطقي" لعلماء الشرق القدماء بوسعه أن يقدم جوابا عن مصائر الإنسان المعاصر الذي باتت تلهه الظلمة وغير قادر على رؤية ذاته، إنه منفي المنفي، كما يصف الحالة في مؤلفه "دورات الزمن والغنوص الإسماعيلي". وتحت عنوان "المعرفة بحر والجهل محيط"، ينتقد بوتافوكو الآلة الغربية الإعلامية بقوله: يروّج الإعلام الغربي أن العالم الإسلامي رافض للمسيحية، حتى أن المرء يدان في إيران بمجرد الإشارة بعلامة الصليب، كما اعتاد النصارى فعل ذلك عند المرور بمصلى أو كنيسة، لكنه يستدرك، "الكاتيكيزم" (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية) قد سهر على ترجمته إلى الفارسية علماء دين من حوزة قم ومن الجامعة الغريغورية الكاثوليكية في روما، وكلاهما مرجع لاهوتي وديني في العالم الشيعي والعالم الكاثوليكي، ثمة رغبة في التلوّث عبر الدعاية لا تهدأ ولا تفتّر.

.....

الكتاب: «فضاظة السراسنة. حرب الإسلام/ الخليفة على أبواب روما».  
المؤلف: بيترانجيلو بوتافوكو.  
الناشر: منشورات بومبياني، ميلانو-إيطاليا  
سنة النشر: ٢٠١٥.  
عدد الصفحات: ٢٠٨.  
اللغة: الإيطالية

**Il feroce saracini. La guerra dell'Islam-Il califfo alle porte di Roma. Pietrangelo Buttafuoco. Bompiani. Milano (Italy) 2015, p. 208**

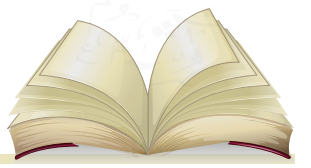


قاسية لواقع العرب اليوم، نرصده في كافة ثنايا فقراته، مع أن الكاتب يتوجه بمقوله إلى قارئ غربي، من منظور مسلم غربي لا يتوانى عن التصريح بانتمائه إلى شيعة آل البيت. ثم في موضع لاحق من مؤلفه يتناول بوتافوكو بالتحليل والتوضيح مسألة المسلم الغربي والإرهاب التي باتت مطروحة. إذ يبدو المسلم الغربي الذي يعود إلى أصول غير أوروبية، أي إلى أصول مهاجرة، هو الأكثر عرضة للانجذاب نحو العنف لما يلقاه من رفض داخل الغرب، فهناك معاناة لا ينبغي التستر عليها. لكن الفرنسي والإيطالي والإنجليزي القح يبدو أبعد عن الوقوع في شرك الإغواء، ويبدو في منأى عن تلك التعبئة النفسية القسرية. أما القوقازي أو الأوروبي البلقاني فهما الأكثر وقوعاً ضمن دائرة الإغواء لما يختزنه المرء في لا وعيه من قهر واضطهاد. لكن الدعاية تتلاعب أحيانا وتعرض كل أشقر هو غربي، فالدعاية طرف فاعل في الحرب المتفجرة اليوم. والإعلام الغربي بدوره يتلاعب بورقة الغربيين الملتحقين بالجهاد في سوريا. أحيانا للحد من ظاهرة التحول الديني التي باتت جليلة في غرب يشهد انكماشاً دينياً وفتوراً روحياً. فهناك طرف في الغرب متربص بالإسلام الغربي، يتقضى عثراته، يتشابه فيه اليمين مع الكنيسة الغربية التي تطلقها حالات الانسلاخ الداخلية. لقد غدا الإسلام كابوساً في المخيال الغربي، يتلفه الكتاب والأدباء بالتحليل والفهم. فزي الرواية السريالية "خضوع" أو "استسلام"،

فحسب أمام هذا الاختبار الحضاري، بل الجموع المسلمة المتواجدة داخل حاضنتها طرف رئيس في هذا التحدي.

يقول بوتافوكو بتنا نرى عددا هائلا من المسلمين قتلوا بأيدي مسلمين، فالصراع في الإسلام وعلى الإسلام على أشده، كل له تأويليته المسقطة على الدين، والمفروضة بمنطق القوة لا بقوة الحجة، والتنافس ما عاد داخل عالم الإسلام بين الأفكار، بل بين أشكال العنف المختلفة، إذ الحدود التأويلية باتت غائمة، مائعة، بين مقتري العنف وضحاياه. علام يتقاتلون؟ ذلك السؤال المحير الذي يطرحه الإنسان الغربي العادي والبسيط والمتابع لأحداث العالم. حتى بات العنف الواردة أنباؤه من ديار الإسلام خيرا رتيا باهتا، يقابل بلا مبالاة وبرودة جراء تكرره وعبثيته، لا سيما وقد أضحى لا يدخر موضعا، الكنائس والمساجد والأسواق والتجمعات الأهلية، فهو عنف أعمى بلا رسالة ولا مقصد ولا غرض. وحتى الزمان فقد قداسته، لا رمضان ولا عاشوراء، لا عيد ولا ماتم، فهل ما زال لدلالات الأشهر الحرم في التصور الإسلامي معنى؟ بالفعل في الزمن الحالي افتقد العنف العربي مرجعيته وغدا عبثا ارتداديا يستهدف الذات. يلخص بوتافوكو حالة المتقبل الغربي للمعلومة والخبر الواردين من البلاد العربية بقوله: تحوّل الخبر الوارد من البلاد العربية إلى مشتقات جذر "قتل"، ليس بما يروّجه الخصوم عنهم، بل بما يفصح به الإعلام العربي عن واقعه، مما حوّل الخوف من العربي أمرا غريزيا لدى الغربي، حرفاً ولوناً وملبساً، لكن البترول العربي يبقى شهيا ومحروسا وأمنا.

وفي سياق الحديث عن الواقع الراهن يقول الكاتب، يشتكى السوريون من تناسي العالم لهم ويستصرخون الضمائر الحية في الغرب لمد يد العون، ويبين قائلًا وهل أبقى العالم الإسلامي ضميرا للبشرية حتى تتعاطف مع قضاياها؟ فاللاجئ السوري في المخيال الغربي ما هو إلا فائض عنف، وهو بقايا لفضى عارمة متشظية تشبه آثارها الإشعاعات النووية، التي ينبغي التوقّي منها بشتى السبل، وإن لزم حصرها في الداخل إلى ما لا نهاية، هكذا بات الغرب أمام قضايا العالم الإسلام خاليا من الشعور الإنساني النبيل. فالسراسنة كما يعي المخيال الجمعي عادوا مسلحين مجددا بأدوات التقنية وأشكال التواصل الحديثة الموطّعة أساسا لتمديد رقعة العنف. فالكتاب فيه تعرية



# فِظَاظَةُ السَّرَاسِنَةِ: حَرْبُ الْإِسْلَامِ/ الْخَلِيفَةُ عَلَى أَبْوَابِ رُومَا

عزالدين عناية

يندرج مؤلف الكاتب الإيطالي بييترانجيلو بوتافوكو ضمن مؤلفات المهتدين الجدد إلى دين الإسلام، وهو ليس كتابا كلاسيكيا عن رحلة اهتداء ديني، كما دأبت العديد من السير التي حبرها لضيف من المتحولين نحو عالم الإسلام؛ بل هو مؤلف يروي كيف يرى المعتنق-المنتمي لهذا الدين، ابن الواقع الغربي العلماني، عالم الإسلام اليوم، الذي بات منتسبا إليه ومنفعلا بأحداثه وإلى حد ما معنيا بمصائره. فليس خط التحول نحو الإسلام في الغرب الحديث فاصلا سطحيا، لأناس حيارى وجدوا ضالتهم في سحر الشرق كما يروج عادة، بابتدال للظاهرة المركبة وتسطيحها؛ بل هو دربٌ عسيرٌ وإدراك عميق، سلكته شريحة في الغرب منها قامات فكرية عالية لعل أبرزهم رينيه غينو وهنري كوربان وروجي غارودي. فأية مصاعب وأية تحديات يلقاها هذا "المهاجر الروحي" في طريقه؟ لا سيما في حقبة عاصفة يعيشها المهتدون الجدد، متهمين بموالاتة أجناس أجنبية، أو محسوبين على دول مارقة وتنظيمات متطرفة عابرة للقارات، تجد ملجأ في فضاءات متوترة من العالم الإسلامي، ولا سيما في المشرق العربي، كما نرى اليوم في بلاد الشام وما جاورها.

ما يفعله مسلمون بمسلمين، وما يفعله عرب بعرب هو أشد ضراوة وأدهى فتكا. في حادثة "شارلي هبدو" في فرنسا، التي عبرت عن عمق هذه التراجيديا، رجلٌ يطلق النار ويكبر وحارس يخر صريعا وهو يلهج "الله أكبر"، إنها تناقضات الإسلام المهاجر اليوم، الذي لا يدري أين يتموقع، فالقاتل والمقتول أوروبيان، عربيان، جزائريان، ولدا وشبا في فرنسا على دين الإسلام، شريف الكواشي القاتل وأحمد مرابط القتيل. اختلطت السبل نحو الجنة على الإسلام المهاجر، وهي سمة تطبع كما يقول بوتافوكو الإسلام الغربي، فهو سطحي، استعراضي، رومانسي، في علاقته بالجدور، لم يتشكل فيه الشهود الحضاري الواعي، فلا يزال "المهاجر/ المواطن" مشدودا إلى الخلف، مهوسا بالمتبع، في مسلكه وفي منسكه، منفصلا بما يجري في بلاد الإسلام دون بلوغ تعال رؤيوي. لقد تعرض علماء اجتماع عديدون لمسألة "الإسلام الغربي" أو "الإسلام في الغرب"، أمثال الإيطاليين إنزو باتشي وستيفانو ألباي في العديد من الأبحاث، التي تناولت ظواهر الإسلام المهاجر وقضاياها. بدا جليا أن شقا واسعا من المسلمين، من مواليد الغرب، ما فتئ يعاني رهقا. ففي خضم الدمج القسري أو الاندماج الطوعي بقي التدين، بمعناه السوسيولوجي، دون إعادة تشكيل عقلانية. فعلا نواة الدين هي مربوط الفرس في ذلك السجال الدائر. ويخلص الباحثان إلى أن التحرر الرؤيوي مرهون أساسا بتطوير الإسلام الديناميكي المتجذر في بناء الاجتماعية وفي سياقه التاريخي الغربي. فليست أوروبا

على عتبة الرحيل إلى العالم الآخر بين يدي الحكم العدل. ثم يعرّج على ذلك في متن الكتاب، فالأمة المستأمنة على رسالة الإسلام والإيلاف، صار ضحاياها بالألوف ولا جئوها بالملايين، فأى شيء يعتمل داخل الوعي الديني حتى تحول التدين إلى مشكلة كونية، يتناقض فيها المثال مع الواقع تناقضا صارخا؟ ومن هذا الجانب يفصح الكاتب عن تحد واقعي يواجه أتباع هذا الدين من أصول غربية بشأن سؤال العنف، كيف يفسرون لبني جلدتهم من الغربيين ما يحدث، وهل ما زال إقناع الناس أن الإسلام لغويا من السلم والسلام له معنى؟ فالحجة صارت مردودة والإجابة صارت متعذرة على قائلها، لا سيما والواقع ينفي ما ينبس به المرء، أمام الضخ الإعلامي الهائل الوارد على الناس من الشبكة العنكبوتية ومن الخلوي ومن شتى أصناف وسائل التواصل. فهل يقدر العربي أن يقول للغربي إن الإسلام دين سلام؟ يصبح محل سخرية للجمهور لو قالها في تلفزيون أو في محفل أو فوق منبر، فحتى أحياء الثقافة العربية من الغربيين باتوا في ورطة من أمرهم مما دهى العرب. ليس من الهين كما يقول بوتافوكو أن يكون المرء مسلما في زمن يتعرض فيه عالم الإسلام إلى تفجير من داخله، من أبنائه، ومن حماته، ولا سيما من حاضنته العربية بشقيها السني والشيعي. يردد المؤلف القول المشهور في أوساط المهتدين: أحمد الله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين. فقد كان اللوم - في ما مضى - على الغرب الذي يعرض صورة فجة مغرضة عن الإسلام، ولكن

إذ يدعو العنف المتفجر في البلاد العربية وبلاد الإسلام عامة، إلى تأمل فكري رصين بعيدا عن الإسقاطات المغرضة التي تتحكم بمقاربة هذه الظاهرة والمتراوحة بين الاتهام والتأجيح، ذلك ما تناوله قسم واسع من كتاب بوتافوكو المعنون بعنوان استفزازي "فِظَاظَةُ السَّرَاسِنَةِ"، ولفظة السراسنة في معناها الغربي الغائم تعني العرب والمسلمين على حد سواء؛ فضلا عن طرحه إشكالية معنى أن تكون مسلما غربيا اليوم. حيث يتساءل الكاتب منذ مطلع كتابه أين يسحب العنف العبثي العالم الإسلامي وقرآنه المجيد يؤكد بصريح القول: "من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا"؟ وما زال معنى لهذه الآية في ظل تراحم تأويليات العنف المستندة إلى نص مقدس، وقد تضاربت الفتاوى وتزعزت الثقة في المرجعيات؟ وهل أفلس الشرق من أولياء الله ودعاة اللاعنفت ليتحول إلى مرتع لتجار السلاح ومروجي الضنن ولم يبق سوى مجيء المسيح الدجال (برنار ليضي وفق قول الكاتب) لينقذ الشرق من تيهه. فقد بلغ هوّل التنافر مستوى متقدما، بات يأتي على الأخضر واليابس، الأئمة والمصلين، المستأمنين والمستجيرين، حتى لكأن الصراع المحتدم في العراق وسوريا صراع أبوكالبيسي، أخروي، كما تصوّره رسالة يوحنا في العهد الجديد وفق بوتافوكو. واقع يشبه دورة الفتنة الأبدية، كلما خرج المرء من واحدة انكب في أخرى أشد وطأة. يصدر الكاتب كتابه بحديث الفسيلة النبوي الشهير، حديث الغرس والأمل والحياة، حتى